

مفهوم النموذج المثالي وعلاقته بمنهجية الفهم والتأويل عند ڤيبر

(دراسة تحليلية - نقدية)

حسام الدين فياض
باحث سوري

2024

www.mominoun.com

- **بحث محكم**
- **قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية**
- 2024-10-14

مفهوم النموذج المثالي وعلاقته بمنهجية الفهم والتأويل عند ڤيبر

(دراسة تحليلية - نقدية)

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة وتحليل ونقد منهجية الفهم والتأويل عند ڤيبر، بالإضافة إلى توضيح كيفية بناء النموذج المثالي. وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي- النقدي في دراسة موضوع البحث، وتوصل إلى أن ڤيبر حرص أن يحدد مقولة الفهم والتأويل كأساس منهجي للكشف عن معاني الأفعال والظواهر الاجتماعية في المجتمع ككل، كما خلص إلى أن دراسة معاني الأفعال الاجتماعية تتطلب وجود أداة منهجية أطلق عليها ڤيبر النموذج المثالي، وهو عبارة بناء عقلي يتشكل أثناء ظهور أو وضوح سمة أو أكثر يمكن ملاحظتها في الواقع الاجتماعي تُستخدم لتحقيق الفهم السوسيولوجي في دراسة الظواهر السسوسيو- ثقافية.

- تمهيد:

إذا كانت **المنظورات الوظيفية والصراعية** تؤكد على أهمية البناء الاجتماعي في تشكيل وتوجيه أفراد المجتمع والتأثير على سلوكهم الإنساني، فإن **نظرية الفعل الاجتماعي** على الطرف الآخر تولي اهتماماً كبيراً لدور الفعل والتفاعل بين أفراد المجتمع في تكوين تلك البنى.

تعد **السوسيولوجيا بالنسبة إلى ڤيبر**، العلم الذي يستطيع الباحث من خلاله فهم الإنسان وفهم العالم وفهم طبيعة الأشياء كما هي وليس كما يريدها هو أن تكون، وبما أن الواقع الاجتماعي مليء بالتعقيدات ولا نستطيع فهمه وتفسيره بسهوله، استعان ڤيبر بآليات متميزة ومفاهيم أصبحت مرتبطة باسمه وبتاريخه الفكري. ولذلك نجده يعرّف السوسيولوجيا على أنها العلم الذي يحاول فهم وتأويل الفعل الاجتماعي وتفسيره بطريقة سببية لمعرفة تطوره وآثاره (**عدنني، 2013**: 7)؛ أي إن **دور علم الاجتماع يبرز في استيعاب المعاني التي ينطوي عليها الفعل الاجتماعي والتفاعل، لا في تفسير طبيعة القوى الخارجية التي تدفع الناس إلى نمط معين من الأفعال.**

يعد ماكس ڤيبر من **أوائل المفكرين السوسيولوجيين** الذين دعوا إلى تبني **منظور الفعل الاجتماعي** «وأبرز رواد الفكر الحديث الذين تركوا بصمات واضحة على مسار الفكر السوسيولوجي منذ بدايات القرن العشرين وحتى يومنا هذا» (**عدنني، 2013**: 7)؛ **وذلك بتجاوز التفسير العلمي نحو التأويل الذاتي والإنساني من خلال التركيز على الفعل الاجتماعي بدلاً من البنية الاجتماعية، والتمييز بين العلوم الوضعية القائمة على التفسير السببي والعلي، والعلوم الإنسانية والثقافية المبنية على إنجاز فهم الفعل الاجتماعي وتأويله من أجل الوصول إلى نتائجه ومساراته.**

يرى ڤيبر أن **الدوافع والأفكار البشرية** هي التي تقف وراء **التغير الاجتماعي**، وبمقدور **الآراء والقيم والمعتقدات** أن تسهم في التحولات الاجتماعية، بالإضافة إلى تأكيده على الدور الهام الذي تلعبه **الأفكار** في تحقيق **الفهم الداخلي للعمليات التاريخية**، كما بوسع الفرد أيضاً - حسب ڤيبر- أن يتصرف بحرية ويرسم مصيره في المستقبل. ولم يكن يعتقد ڤيبر كما يعتقد دوركايم وماركس أن للبنى الاجتماعية وجوداً مستقلاً عن الأفراد بل كان يرى أن **البنى في المجتمع إنما تتشكل بفعل تبادلي معقد بين الأفعال، ومن هنا فإن من واجب عالم الاجتماع أن يتفهم المعاني الكامنة وراء هذه الأفعال** (**فياض، 2021**: 337).

وهكذا نجد أن لكل علم موضوع ومنهج خاص به يعطي له الشرعية العلمية؛ فالمشكلة لا ترتبط بتأسيس المنهج بقدر ما تتعلق بمدى **انسجام الموقف الابستمولوجي بالموقف الأنطولوجي**؛ أي مدى علمية المنهجية في دراسة طبيعة الموضوع في ذلك العلم (**عبد النور، 2017**).

والدليل على ذلك أن رواد علم الاجتماع الأوائل لم يختلفوا على طبيعة المتغيرات التي تشكل الواقع الاجتماعي، بل اختلفوا في أولوية متغير ما على باقي المتغيرات، فعلى سبيل المثال نجد أن الماركسية تعطي الأولوية للمتغيرات الاقتصادية، وترى أنها مرجعية انطلاق السببية، وأنها تؤثر على التفاعل الاجتماعي وكافة المتغيرات الأخرى، على حين **يؤكد ماكس ڤيبر على المتغيرات الثقافية**، بينما يذهب **دوركايم** إلى إبراز دور وفاعلية المتغيرات الاجتماعية، بينما يؤكد **فلفريدو باريتو** على فاعلية المتغيرات السياسية والسيكولوجية **(فياض، 2024: 200)**.

مما أدى إلى تضاد وتنافس المقاربات المنهجية بهدف دراسة الواقع الاجتماعي دراسة علمية، ولعل من أهم التيارات التي اجتهدت في تأسيس مناهج علمية لدراسة الظواهر الاجتماعية هي المنهجية التأويلية التي **أسس لها الرائد السوسيولوجي ماكس ڤيبر**، حيث اعتبرت من أهم المقاربات التي ساهمت في تبلور منهج الفهم الذاتي لديه، ثم إبراز ماهية وطرائق تطبيق هذا المنهج بالنسبة إليه **(عبد النور، 2017)**.

أولاً- منهجية الفهم والتأويل عند ڤيبر:

يرى **فيلهلم ديلتاي** (1833- 1911) إذا كنا نريد فهم ظاهرة ما أو جملة من الظواهر، **يجب علينا دراستها من الداخل**؛ أي البحث عن العلاقات الكامنة التي تربط بينها بشكل أو بآخر، غير أن هذه العملية غير ممكنة التحقيق في العالم الطبيعي؛ **لأن دراسة الحوادث أو الظواهر من الداخل يعني البحث عن كيفية نشأتها**. وهذا ضرب من المستحيل؛ لأننا لا نخلق الظواهر الطبيعية. أما في الجانب الآخر، **فتمثل الظواهر الاجتماعية** محصلة نشاط البشر، محصلة العقل والوعي الإنساني. ولهذا، فبإمكاننا دراستها من الداخل وفهم معانيها. وينتج عن هذا أننا في مجال العلوم الاجتماعية، نستطيع، بل من الضروري أن نتجاوز البنى الحالية المعطاة **(عنصر، 1990: 111-112)**.

إن الهدف في **العلوم الاجتماعية أو الثقافية كما أسماها ديلتاي** هو محاولة معرفة كيف ولماذا تخلق مجموعات أو أفراد هذه البني؟ وبهذا الصدد، وما دامت القضية تتعلق بفهم هذه الظواهر، فإن أفضل الطرائق لتحقيق ذلك معايشة تجارب الآخرين. وهذا يعني أن هناك اختلافاً أنطولوجياً **(ماذا نعرف، طبيعة موضوع المعرفة)** بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، مما يستلزم اختلافاً ابستمولوجياً **(كيف نعرف، ومدى صحة ودقة معارفنا)** وبالتالي الوسائل العلمية للبحث والدراسة **(الخطوات، الإجراءات، والتقنيات)** **(عنصر، 1990: 112-113)**.

بالمقابل، يعتقد ڤيبر أيضاً أن العلوم الاجتماعية تختلف عن العلوم الطبيعية اختلافاً شديداً؛ ففي الأخيرة تتجه الاهتمامات الإنسانية نحو **الضبط**، بينما تتجه هذه الاهتمامات في العلوم الاجتماعية نحو **التقويم**. وبهذا المعنى يصبح مفهوم الثقافة ذاته مفهوماً قيمياً، كما تصبح الوقائع الامبيريقية بالنسبة لنا ثقافة؛ لأننا

نربطها دائماً بالقيم. **إذن فصدق القيم يعد من قبيل الإيمان والاعتقاد، وليس من قبيل المعرفة.** واستناداً إلى ذلك، ذهب ڤيبر إلى أنه يتعين على العلوم الاجتماعية أن تدرس القيم بشرط ألا تفصل عنها المعايير والمثاليات التي تشتق منها الموجهات التي تضبط السلوك الواقعي. لكنه بالمقابل، دعا إلى أن تكون العلوم الاجتماعية بما في ذلك علم الاجتماع والتاريخ متحررة من القيمة **(تيماشيف، 1978: 254-255).**

ومن المؤكد **أن فكرة تباين الأنساق القيمية واختلافها عبر الزمان والمكان،** كانت فكرة سائدة في الوقت كتب فيه ڤيبر أفكاره هذه. فلما كانت **العمليات الثقافية** تخضع دائماً لتغير مستمر؛ فمن الطبيعي أن يخضع **موضوع العلوم الثقافية بدوره للتغير.** ومع ذلك، يتطلب بطبيعة الحال أن يكون العلم الاجتماعي علماً أمبيريقياً يدرس الوقائع الملموسة **(تيماشيف، 1978: 255).**

وهكذا تبنى **ڤيبر مقاربة ديلتاي** «**الفهم الذاتي**» في دراسة الظواهر الاجتماعية، **لكن رفض الفصل بين المناهج ولو اختلفت طبيعة الموضوع المدروس؛ إذ لا يمكن الاستغناء عن التفسير السببي في دراسة الظواهر الاجتماعية** اعتماداً على أن الفعل الاجتماعي يقدم نموذجاً ذا معنى ترتبط فيه الوسائل والأهداف، ويستند إلى جملة من الأسباب والدوافع **(عنصر، 1990: 113-114).**

ويتسم هذا التوجه **المنهجي بالطابع الدلالي والتفهمي والتأويلي، والتركيز على الذات بدل الموضوع؛** أي دراسة الفرد في علاقته بأعضاء الجماعة التي ينتسب إليها أو علاقاته مع المجتمع في كليته، بالتوقف عند مختلف الدلالات والمعاني والمقاصد والغايات والنوايا التي يعبر عنها هذا الفعل الإنساني والسلوكي، في علاقته بأفعال الآخرين، ضمن الكينونة المجتمعية نفسها. بذلك يندرج تصور ڤيبر ضمن النظرة التفاعلية إلى المجتمع، فالأفراد يؤثرون في المجتمع بأفعالهم الواعية والهادفة، والمجتمع بدوره يؤثر في الأفراد **(فياض، 2021: 341).**

هكذا تسعى **المقاربة التفهيمية الڤيبرية** إلى **فهم الظاهرة الاجتماعية، باستخلاص دلالات أفعال الأفراد،** واستكشاف **معانيها ومقاصدها وغاياتها ونواياها.** وفي هذا السياق، نجد أن **فهم الفعل الإنساني** - حسب ڤيبر - **ليس مسعى سيكولوجياً،** بل هو السعي إلى فهم السيرورة المنطقية التي تقود الفاعل الاجتماعي إلى اتخاذ قرار ما في ظرف خاص؛ إذ يتعين إعادة تشكيل المنطق العقلي للفاعل، كما ينبغي، أيضاً، فهم الجانب العقل في سلوكه، تبعاً للأهداف التي يتوخاها والوسائط التي يتوسلها، من أجل التوصل إلى فهم تفسيري للفعل **(فياض، 2021: 342).**

بمعنى، أن ڤيبر يعتمد **منهجاً تأويلياً** يستند إلى الفهم (**دراسة المعنى الداخلي**)، والتأويل (**إدخال الذات والمرجع على مستوى القراءة**)، بغية تشكيل استراتيجية لتفسر الظواهر بمدلولها الاجتماعي والثقافي. ويعني هذا أن الفعل الاجتماعي أو الفعل الإنساني بكل تأكيد مرتبط بثقافة مجتمعية معينة، مما يتيح لنا فهم سلوكيات الناس من خلال معرفة الأفعال والأشياء المرتبطة بها وما تعنيه، وما هي الكيفية التي ينظر بها الناس إلى أفعالهم وأفعال الآخرين **(السوتاري، 2015: 89).** وبالتالي، لا يمكن دراسة الثقافة أو الإنسان من خلال

المنهج الوضعي، بل لا بد من الاعتماد على منهج الفهم في ذلك. أضف إلى هذا أن الظاهرة الإنسانية مرتبطة بمجموعة من الأسباب، وليس بسبب واحد. لذا يصعب تطبيق المنهج الوضعي على الظاهرة الاجتماعية التي يحضر فيها الإنسان باعتباره فاعلاً ومنفعلاً، وكائناً واعياً ومتغيراً.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه كيف يمكننا أن نحيط بالفعل الاجتماعي؟ إن الإحاطة بالفعل معناها الأول «**فهمه**» وفهم فعل الآخر يستلزم القدرة على التموضع في موضعه، والقدرة على استنتاج ما حصل معه. والتموضع الاجتماعي يقترن عموماً بضرورة الاستعلام عن التأهيل الاجتماعي للفاعل، وعن مقومات وضعه في حالة الفعل، وعن تركيبة حقل الفعل الذي يتحرك فيه. زد على ذلك أنه لفهم فعل الآخر، يُفترض بالمُراقِب أن يعي الفوارق التي تميز وضعه الخاص عن وضع الفاعل المُراقَب. ومهما تكن **المسألة الثقافية**[1*] بين المُراقِب والفاعل، فإنه بإمكان الأول مبدئياً أن يفهم الثاني وهذا معناه أن منطق الفعل الفردي يتضمن عناصر ثابتة بالنسبة إلى تنوع المساقات الثقافية (**الطبيعية البشرية**). ومعناه أيضاً أنه يمكن الشعور بـ «**فهم**» فعل الآخر، على الرغم من بُطلان تفسيرنا لفعله، عندئذ يكون فهمنا لحظة أساسية في التحليل الاجتماعي (**خليل، 1984: 177**).

هكذا يرتبط ڤيبر **منهج الفهم** على مستوى المعنى **بوسيلتين منهجيتين** هما: الفهم التأويلي الذي يهدف من خلال الوقوف على المعنى الواقعي في سلوك الأفراد والجماعات، ثم يستكمله بمحاولة فهم هذا السلوك فهماً داخلياً بواسطة الوقوف على المعاني الذاتية المرتبطة بتلك الأفعال من خلال منهج التجربة التأويلية وأوضح أن الأفكار والدوافع والمعاني دوراً مهمّاً في تكوين منهج الفهم التأويلي لديه. وقد أورد ڤيبر في هذا الصدد أن **منهج الفهم التأويلي** يحقق أعلى مستوى في **فهم الظواهر الاجتماعية** على مستويين: الأول **الفهم السببي الملائم**، والثاني **هو الفهم الملائم ذو المعنى.**

ونستنتج مما تقدم، أن **منهج ڤيبر** يرتكز على **ثلاثة مقومات أساسية** هي **الفهم والتاريخ والثقافة؛** وذلك بالاعتماد على منهج الفهم في دراسة السلوك الاجتماعي، ورصد **أشكال الهيمنة والسلطة**، ويعني هذا أنه من مؤسسي نظرية الفهم والتأويل في علم الاجتماع. ويعني ذلك أيضاً أن منهجية ڤيبر تهدف إلى فهم معنى التفاعلات السلوكية للأفراد داخل المجتمع؛ أي إن علم الاجتماع يدرس الفعل الاجتماعي الذي يقصد به مجموعة من الوسائل التي يستند إليها المجتمع للحفاظ على اتساقه وانسجامه، وخاصة الوسائل القانونية والتنظيمية أو الأعمال التي تدفع الأفراد والجماعات التي تعيش نوعاً من الهشاشة إلى العيش الكريم، والانصهار في وحدة المجتمع. وقد تبلور هذا المنهج القائم على دراسة التفاعلات القائمة بين الأفراد في كتابه «**الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**» الذي نشره على شكل مقالين عامي (1904-1905)، حيث درس فيهما **أثر العوامل الدينية في ظهور العقلانية**، وكيف ساهم الإصلاح البروتستانتي في نشأة الاقتصاد الرأسمالي المادي؛ وذلك بالتركيز على العقلانية، باعتبارها مظهراً من مظاهر الحضارة الغربية، فقد جاءت مرافقة لنشوء

1* المسافة الفكرية المسافة الزمنية (تقارب الفكر الزمن، الثقافة والتاريخ: حيث إن الفعل هو حدث يقترن بزمن، بفكر، بثقافة، بتاريخ معرفي).

الرأسمالية (**الاقتصاد العقلاني**) والبيروقراطية (**الإدارة العقلانية**) (**فياض، 2021: 343**). ومن هنا يعدّ المذهب البروتستانتي – حسب ڤيبر- فعلاً إيجابياً؛ لأنه المحرك الحقيقي للعقلانية والحداثة والاقتصاد الرأسمالي، فقد أهلته هذه الخصائص لقيادة حداثة كونية وتقديم نظرة عقلانية لرؤية العالم، وهذا ما جعل ڤيبر من مؤسسي علم الاجتماع الديني كشف فيه عن نسق القيم الدينية في سياقها الاجتماعي وآثارها على المستوى الاقتصادي، وقد اعتبرت نظريته في البيروقراطية من أهم الإسهامات الكلاسيكية في المعرفة (**مجموعة المؤلفين، 2011: 6**).

وفي النهاية، يذهب ڤيبر إلى أن دراسة **معاني الأفعال الاجتماعية** تتطلب وجود **أداة منهجية** أطلق عليها **النموذج المثالي أو الخالص** وهو عبارة عن بناء عقلي يتشكل من خلال ظهور أو وضوح سمة أو أكثر يمكن ملاحظتها في الواقع الاجتماعي، **وهذا يعني أن رؤية ڤيبر المنهجية تتكون من النموذج المثالي، ونسق المعاني من خلال فهم الفعل الاجتماعي وتأويله.**

فإذا كانت **العلوم الطبيعية أفقية الطابع** من حيث نجاحها في **التعميم** بفضل **القوانين السببية؛ فإن العلوم الاجتماعية عمودية الطابع** من حيث إمكان نجاحها في **التعميق** بفضل **الإمكانية الموضوعية (عبد النور، 2017)**. على اعتبار أن **الإمكانية الموضوعية في العلوم الاجتماعية** هي أداة تساعد الباحث على تشكيل صورة ذهنية للمواقف؛ وذلك عن طريق عزل بعض المتغيرات لمعرفة مدى تأثرها في تشكيل العنصر الكلي، فإذا تأثر بعزل متغير فإن العلاقة السببية ملائمة، وإذا لم يتأثر فإن العلاقة السببية مصادفة، إلا أن ڤيبر رفض مصطلح السببية الضرورية (**عبد النور، 2017**). فبعد تحديد مفهوم الإمكانية الموضوعية، نجد أن علاقة منهج الفهم بمنهج التجريب علاقة كل بجزء إذ لا يمكن إدراك الكل إلا بفهم الجزئيات المشكلة للرابط الكلي. **فعلى سبيل المثال:** لكي يستطيع الباحث رصد معنى قانون في مجتمع ما لا بد له من التطرق إلى جزئيات وبنود القانون؛ وذلك بتصوره واحتماله لمجموعة من الجزئيات ثم ترجيح التي تشكل الكل، ثم حينها يلتجأ في مرحلة ثانية إلى استخدام الأدوات التقنية التي تختبر مدى صحة احتماله، إن كان قد أغفل إمكانية حضور جزئية في تشكيل الرابط الكلي فبهذا يكون: الذاتي أشمل من التقني وموظف له لا غير، بهذا يتحقق المعنى الفعلي والحقيقي لمفهوم الإمكانية الموضوعية (**عبد النور، 2017**). بناءً على ما سبق **يعتقد ڤيبر أن نشوء الرأسمالية (الواقع) لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى نمطها المثالي القيم البروتستانتية.**

ثانياً- حول مفهوم النموذج المثالي:

يُعرف ڤيبر **النموذج المثالي** ***The Ideal Typical*** بأنه «عبارة عن وصف منطقي متسق من وجهة نظر محددة، حيث يؤدي ذلك إلى توضيح علاقات الوسائل بغايات الفعل حتى يساعد ذلك الباحث على تجميع الأفكار أو الارتباطات والتفسيرات المتناثرة في إطار قابل للفهم»؛ بمعنى آخر، هو عبارة عن بناء أو تشيد عقلي يتشكل من خلال ظهور أو وضوح سمة أو أكثر، أو وجهات نظر يمكن ملاحظتها في الواقع، والذي لا يوجد له نظير في الواقع التجريبي (**تيماشيف، 1978: 266**). هذا النمط المثالي لأي ظاهرة اجتماعية يكون مصمماً

ليساعد في فهم الواقع التجريبي لتلك الظاهرة أو عدة ظواهر وهكذا يمكن استخدام النمط المثالي كأداة من أجل المقارنة بين ظاهرتين أو أكثر أو لقياس مدى تقارب الظاهرة المعطاة من النمط المثالي، فالنموذج أو النمط المثالي عبارة عن **المجموع الكلي للمفاهيم التي ينشئها أو يبينها المتخصص في العلوم الإنسانية بصورة نقية وبعيدة عن أي تحيز لتحقيق أهداف البحث (فياض، 2021: 347- 348).**

يتمحور **هدف النموذج المثالي** في تكوين نموذج للظاهرة الاجتماعية أو منظور هادف لها. وبعد ذلك استعمل المفهوم من قبل منظري المنظمات الاجتماعية للإشارة إلى الدراسات التجريبية المتعلقة بالبيروقراطية على سبيل المثال. ولا يحيلنا تعبير المثالي على الجودة والإتقان والحكم الإيجابي، بل هو دليل لبناء الفرضيات، ونموذج لفهم الظواهر المدركة في الواقع، أو تعبير عن الفكر المنظم.

والنموذج المثالي، هو نتاج لعملية تركيبية لمجموعة من السمات والمواصفات لظاهرة مجتمعية ما، تكون مجردة وعامة، وتصنيفها ضمن نموذج فكري وعقلي ومنطقي متسق. وللتمثيل، حينما ندرس البيروقراطية، فإننا ندرسها في مجالات متعددة، وفي أمكنة مختلفة، لكننا نتحدث عنها بطريقة مثالية عامة، بالتركيز على خصائصها ومميزاتها المجردة والمشتركة في عمومها، لقولبتها ضمن نموذج مفهومي ووصفي ما. أضف إلى ذلك أن النموذج المثالي هو نتيجة لمجموعة من المقارنات والعمليات الوصفية لظاهرة مجتمعية ما **(فياض، 2021: 348)**.

وبالتالي، **فالمثالي لا علاقة له بالقيمة**، بل يرتبط بمنظومة من الخصائص والأوصاف والسمات المشتركة الناتجة عن ملاحظة ظاهرة ما. وبتعبير آخر، يعني النموذج المثالي تجريد أو تحويل الظاهرة المجتمعية المدركة والملاحظة إلى نموذج ذهني مجرد في شكل خصائص ومكونات وسمات مشتركة مجردة وعامة؛ أي الانتقال من المحسوس إلى المجرد المثالي. فحينما يرصد الملاحظ ظاهرة مدركة ما، ومعزولة، فإنه يختزلها في مجموعة من المكونات والخصائص والسمات العامة والمجردة لبناء نموذجها المثالي والمفهومي.

بذلك يتكون **النموذج المثالي** من العناصر الرئيسية التالية **(فياض، 2021: 349):**

1. إنه نظرة جانبية أو جزئية تتم بالنظر إلى الإطار النظري للباحث؛ وذلك ما من شأنه أن يترك هامشاً لتأثير التوجيه القيمي للباحث في تحديد العناصر الأساسية للنموذج.

2. إنه يعبّر عن نظرية أحادية يجرد الباحث من خلالها – انتقائياً – العناصر الرئيسة من الظاهرة الواقعية.

3. إن هذه العناصر التي يرى الباحث أنها تشكل العناصر المحورية للواقعة أو الظاهرة موضع الدراسة يتم تأسيسها، بالإضافة إلى بناء العلاقات المنطقية بينهما في إطار نظري له اتساقه المنطقي وقدرته على المساعدة في الفهم والتوضيح. وتجدر الإشارة إلى أن التحديد الإيجابي للنموذج في كونه بناء من العناصر التي جردت عن الواقع، والتي وضعت مع بعضها البعض، لكي تشكل نموذجاً تصورياً موحداً.

إذن، فالأنماط السلوكية، كالسلوك العقلي، والسلوك اللا عقلي، والسلوك القيمي العقلي، والسلوك العاطفي، بمثابة نماذج أو أفكار عقلية مثالية: هي مثالية بمعنى أنها ليست صادرة من الحياة الاجتماعية الواقعية، لا بمعنى أنها صادرة من ماهيات مجردة كـ «**مثل**» أفلاطون على سبيل المثال. إنها نماذج مثالية لكونها مشتقة أساساً من الحقيقة التاريخية، تلك الحقيقة المعقدة جدّاً، والتي تعتبر هذه التصنيفات السلوكية مجرد تبسيط لها. ومن هنا يدرس علم الاجتماع عند ڤيبر تلك الأنماط الاجتماعية المثالية التي تحدد طبيعة تصورات الإنسان وإدراكاته ومواقفه السلوكية في المجتمع. وإذا كانت هذه الأنماط كامنة حقّاً في بنيات المجتمع، فهي مع ذلك، بمثابة أنماط قياسية تحدد السلوك، وتوجه العقل **(فياض، 2021: 349- 350).**

وعلى رأس هذه الأنماط المحددة للسلوك الموجهة للفعل، توجد القيم الأخلاقية والدينية، ثم العرف والعادات والقانون، بالإضافة إلى أنماط أخرى ذات طبيعة سيكولوجية كالحب والكراهية والحقد... ومهما كان الأمر، وسواء كان العنصر الموجه للسلوك هو هذا النمط أو ذاك، فإن الفعل الاجتماعي الحقيقي عند ڤيبر هو السلوك الهادف المرتبط بغاية معينة. أما السلوك الذي لا هدف له، فهو سلوك لا عقلي، سلوك آلي لا قيمة له من الناحية التاريخية.

بذلك، فإن النموذج المثالي أداة تصورية وإجرائية أساسية، أو هو بمثابة منهج، أو مقياس، أو نموذج تركيبي، يُستخدم لوصف الوقائع المجتمعية وتقييمها. بعبارة أخرى هو وسيلة موجهة نحو توضيح معنى الموضوع قيد الدراسة؛ أي إجراء منهجي خالص يطوره الباحث إرادياً وفقاً لحاجات البحث، ويمكن أن يتخلى عنه، إذا لم يؤدّ وظيفته أو يشبع توقعاته **(فياض، 2021: 350).**

ويرى **أنتوني جيدنز** أن «النماذج المثالية هي **نماذج مفهومية وتحليلية** يمكن استخدامها لفهم العالم. وقلما توجد هذه النماذج في العالم الواقعي. وربما لا توجد على الإطلاق. وفي أغلب الحالات تتضح جوانب أو ملامح قليلة منها في الواقع، غير أن هذه النماذج الافتراضية قد تكون مفيدة جدّاً، عندما نحاول فهم الأوضاع الفعلية في العالم بمقارنتها بواحد من هذه الأنماط المثالية. وفي هذا السياق، تكون النماذج المثالية بمثابة نقطة مرجعية ثابتة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن النموذج المثالي لم يكن يعني بالنسبة إلى ڤيبر أن هذا التصور قد وصل حدود الكمال أو حقق الهدف المنشود. وما كان يعنيه ڤيبر أن النموذج يمثل صورة صافية لظاهرة ما، وقد استخدم ڤيبر هذه النماذج المثالية في تحليله لأشكال البيروقراطية والسوق» **(جيدنز، 2005: 71).** وللتوضيح بشكل أبسط، فشخصية «**البخيل**» في **مسرحية موليير**[2*] شخصية كاريكاتورية، مع أن احتمال أن نلتقيها في الواقع الاجتماعي، لكنها تمثل النمط الأصيل للبخل. هذه الشخصية نموذج مثالي للبخلاء. فالنموذج المثالي هو تشييد فكري لا يعكس الواقع التجريبي المرصود، بل يسمح بتحليل مكوناته وخصائصه. وعليه يتم تحصيل النموذج المثالي عند ڤيبر عبر الربط بين عدد من الظواهر، بتصنيفها وتنظيمها، وترتيبها، ضمن نموذج فكري منسجم ومتسق.

2* **جون بابتيست بوكلان** (بالفرنسية: ***Jean-Baptiste Poquelin***) المُلقب **موليير** (***Molière***) (باريس 15 يناير 1622 - 17 فبراير 1673)، مؤلف كوميدي مسرحي، وشاعر فرنسي، ويعد أحد أهم أساتذة الهزليات في تاريخ الفن المسرحي الأوروبي ومؤسس "**الكوميديا الراقية**".

خلاصة القول إن **النموذج المثالي** عند ڤيبر هو الصورة النقية للظاهرة يقوم ببلورتها علماء الاجتماع عن طريق الانغماس في تحليل المادة التاريخية. وعلى هذا تُفهم الأنماط المثالية بوصفها أدوات إرشادية (تعين على الفهم). الهدف منها تزويدنا بقوالب البحث السوسيولوجي، وهي عبارة عن نماذج مبالغ فيها بقصد تضخيم جانب معين من الظواهر الاجتماعية محل الدراسة. **ورأى ڤيبر أن تلك النماذج المثالية يمكن مقارنتها بالظواهر الموجودة فعلاً في المجتمع للكشف عن بعدها أو اختلافها عن ذلك النمط. عندئذ يستطيع علماء الاجتماع دراسة الأسباب التي يمكن أن تكون مسؤولة عن هذا الاختلاف.**

ثالثاً- علاقة النموذج المثالي بمنهجية الفهم والتأويل:

سعى ڤيبر إلى **توظيف النموذج المثالي كأداة منهجية لفهم العلاقة الارتباطية بين الروح البروتستانتية والرأسمالية الحديثة**، وتشير الدراسات والأبحاث في هذا السياق إلى أن الأنماط المثالية لدى ڤيبر، وإلى استخدامها بوصفها تنظيمات دقيقة لها علاقات تاريخية متداخلة بالأحداث التي تحيط بها (**أبو شنب، 2008: 263**).

ونظر ڤيبر إلى بنائها بوصفه محاولة للتعبير عن كل النظم العلمية التي تتقدم بطريقة عقلانية. وانتهت الدراسات إلى أن الصعوبات التي واجهت تكوين الأنماط المثالية لدى ڤيبر يرجع إلى استخدامه لها كتصورات تعميمية لجميع **العلوم الثقافية**. هذا بالإضافة إلى استخدامه الخاص لها، والذي يمكن تحديده في ثلاثة أنواع على النحو التالي:

1. **الأنماط المثالية التي تتميز بالعناصر المجردة للواقع التاريخي وتشمل أنماط**: البيروقراطية، والإقطاع، وأنماط السيطرة الثلاثة (**التقليدية، الكاريزمية، القانونية**)، ثم أنماط الفعل أو السلوك (**التقليدي، العاطفي، العقلاني بالنظر إلى القيمة، العقلاني بالنظر إلى الهدف**).

2. **الأنماط المثالية التي تشتمل على البناءات العقلية الجديدة بصفة خاصة**، كما هو في أنماط السلوك الاقتصادي.

3. **الأنماط المثالية ذات الخصوصيات التاريخية مثل**: الرأسمالية في المدينة الغربية، حيث يركز ڤيبر في هذا النوع من الأنماط على إمكانية إعادة بناء جزئيات هذه التصورات من خلال أنواع معينة من السمات التاريخية (**أبو شنب، 2008: 263**).

وفي إطار النمط الأخير قدم ڤيبر تحليلاً سوسيولوجياً لاستخدام النمط المثالي للرأسمالية في المدينة الغربية كأداة منهجية لتحقيق منهجه في الفهم التأويلي فيما يخص فهم العلاقة بين روح البروتستانتية والرأسمالية الحديثة في المجتمعات الغربية، حيث كانت تحليلاته تظهر أهمية النموذج المثالي كتصورات مجردة تماماً، وتوضح علاقة الديانة البروتستانتية بالرأسمالية؛ وذلك على اعتبار ألا يتشكل من فروض، ولكنه مجرد تصورات

لمفهومات مجردة تساعد في الوصف والتفسير عن اللجوء إلى التحليل الأمبيريقي في دراسة أي ظاهرة أو مشكلة اجتماعية (**أبو شنب، 2008: 263-264**).

فالرأسمالية – كما يذهب ڤيبر – هي نسق من المشروعات الهادفة إلى الربح، والتي ترتبط فيما بينها في شكل علاقات سوقية. والرأسمالية بهذا المعنى، نمت وتطورت عبر التاريخ في أماكن كثيرة وأزمان مختلفة. **ولكن الرأسمالية الحديثة تختلف عن أشكال الرأسمالية القديمة بما تتميز به من طابع عقلاني وتنظيم رشيد للعمل الحر**. فكيف إذن ظهر هذا الشكل الحديثة من الرأسمالية؟ يؤكد ڤيبر أن مشكلة الظهور الأولى للظاهرة تتميز عن النمو اللاحق لها، طالما أن النسق الاجتماعي العام قادر على تأكيد ذاته، ثم يذهب بعد ذلك إلى أن ظهور الرأسمالية الحديثة قد خضع للتأثير الذي أحدثه ظهور **الأخلاق البروتستانتية وخاصة الكالفينية**. ويخلص ڤيبر إلى فرض مؤداه: أن المناطق الألمانية المعاصرة التي تسود فيها البروتستانتية أكثر ثراء من تلك التي تنتشر فيها الكاثوليكية (**تيماشيف، 1978: 257**)، حيث لعبت **المتغيرات الثقافية** المرتبطة بممارسات الأخلاق البروتستانتية دوراً هاماً في ترسيخ تصور لدى كل فرد في المجتمع الألماني أن **الرأسمالية مشروع يتضمن الترشيد والضبط لمصادر رأسمال الواسعة والإنتاج الوفير.**

لكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا: **لماذا ظهرت الرأسمالية البرجوازية العقلانية كظاهرة مسيطرة فقط في الغرب الحديث؟ وما هي العوامل التي تؤدي إلى فشلها في الظهور في ثقافات أخرى؟**

يؤمن ڤيبر إلى أن **كل ثقافة** توجد فيها **الأخلاق الاقتصادية النابعة من الديانة التقليدية** السائدة تعني مباشرة تحقيق التطور نحو أشكال الرأسمالية البرجوازية العقلية، ويرى أن سبب فشل الرأسمالية البرجوازية العقلانية في أوقات المبكرة، **في الهند والصين** بسبب عدم وجود الأخلاق الاقتصادية النابعة من **الديانة (البروتستانتية) (بارسونز، 1945: 512-513)**. وهذا يعني أيضاً أن الرأسمالية لم تُعرف في الغرب، وأنها لم تكن اكتشافاً غربياً محضاً، وهي ليست مجرد (التعطش للربح) أو البحث عن الفائدة، بل هي **السيادة عن طريق التنظير العقلي لهذه الدوافع اللا عقلية إنها البحث عن الفائدة المتجددة باستمرار في مؤسسة دائمة قائمة على التنظير العقلي**، لقد وجدت الرأسمالية في الشرق القديم بصورة بدائية خاصة في التجارة، لكنها وجدت في الغرب على حسب ما يقول ڤيبر في صورة مؤسسات، ونظم حيث عرف العالم الغربي التنظيم الرأسمالي للعمل الحر ووضع قواعد المحاسبة العقلانية، وتقسيم العمل» (**الكلاخي، 2012**)؛ أي إنه قام بذلك بناءً على العقلانية والترشيد. ويبرر ڤيبر هذا التطور المتميز من خلال نموذج (**التقشف الكالفني**) الذي كان له الأثر الأهم في تنامي البروتستانتية، والتوجه مباشرةً نحو النهل من الواقع، من خلال الإشارة المباشرة إلى الأحوال الاقتصادية الجيدة التي يعيشها **البروتستانت في ألمانيا** مقارنة بمواطنيهم **الألمان الكاثوليك**. استناداً إلى تحليل عناصر البروتستانتية القائمة على: (العقلانية، التقشف، الفردية) والترشيد المستند إلى (الواقعية، الإنتاج، العمل) وعبر هذه العلاقة القائمة بين الطرفين (البروتستانتية والترشيد) أفسحت المجال للرأسمالية أن تنمو وتنضج وتؤتي ثمارها، عبر بروز دور المؤسسة البيروقراطية والتي قامت على التطلع نحو السيطرة على الواقع من خلال المعرفة إنها **المعرفة الرشيدة القائمة على ثنائية السيطرة على الموارد، والقدرة على التخطيط المستقبلي**

للموارد. وهكذا كان الربط بين الرأسمالية وطريقة التعاطي مع الإنتاج، عبر تنامي دور الرقابة الإدارية، من خلال بروز المؤسسة البيروقراطية، والتي افسحت المجال للطبقة الوسطى، لأداء دورها في مجمل الفعاليات التي ترافقت مع النمو الرأسمالي، لا سيما في بدايات القرن العشرين، بالإضافة إلى التوسع الذي شهده قطاع المؤسسات المالية، لا سيما على صعيد تمويل المشاريع وزيادة أهمية البنوك في الإقراض والتأمين (**الربيعي، 2015: 342-343**).

ربط ڤيبر بين القيم التي تقوم عليها **العقيدة البروتستانتية** القائمة على (**العمل، تنظيم الوقت، الزهد**)، حيث الالتزام الذي يطبع مجمل توجهات المؤمن بها، سعياً لبلوغ الخلاص ومرضاة الله. فيما **تقوم روح المشروع الرأسمالي على الإعلاء من شأن الربح**، من خلال (**العمل، تنظيم الوقت، الانضباط**). الربط هنا يقوم على جملة من التقاطعات بين النموذجين، بين نموذج زاهد عقيدي ديني، وآخر ربحي تجاري يقوم على التعاطي المباشر مع الماديات، إلا أن الصلة الفكرية التي ميزها ڤيبر، إنما تقوم على أن الرأسمالية لم تكن نتاجاً للبروتستانتية، بقدر ما مثلت هذه الأخيرة **مهاداً روحياً وقيمياً وثقافياً** لنموها وتطور علاقاتها في الغرب تحديداً. لا سيما على صعيد التلاقي الحاسم بين (**الزهد والانضباط**). وهو ما يمثل جوهر فكرة الترشيد، التي مثلت الأصل الفكري لمجمل التحليلات المعرفية لأعمال ڤيبر. إنها أحوال التسلل للقيم بين النموذجين عن غير قصد، بقدر ما كانت الصلة تقوم على تمييز مفاصل (**الأفعال والمعتقدات**) وقدرة البروتستانتية في تشكيل روح المشروع الرأسمالي. عبر بوابة الترشيد الساعية نحو بناء النموذج الخالي من المظهريات، **وتوجيه أرباح العمل نحو التراكم وتنظيم الحياة**، والإفادة القصوى من مكتسبات الأرباح، حيث التوجه نحو الإنتاج من خلال بناء نموذج المؤسسة المستندة إلى العقلانية في إدارة المشروع الرأسمالي (**الربيعي، 2015: 343**).

بناءً على ما سبق، يمكن لنا أن نتفق مع **بارسونز** في تأكيده **العلاقة الوظيفية السيكولوجية بين البروتستانتية والرأسمالية الحديثة لدى ڤيبر، وأن الظواهر المادية هي التي تخضع لتأثير القوى الدينية وليس العكس**، وهذا يعني أن مكامن الاختلاف الرئيسية بين الرأسمالية التقليدية والحديثة **يمكن في مستوى القيم**. فالأنشطة التي تنبع من **توجيه قيمي ديني** قد يؤثر بصورة أقوى في نفوس من يقومون بها، ويحدث نوعاً من الرضا الذي يؤدي إلى تحقيق الإنجاز والتنمية المنشودة (**بيومي، 1985: 478**).

إن **الأخلاق البروتستانتية (الكالفينية)** بخاصة كانت أحد أهم العناصر التي أسهمت إسهاماً كبيراً في تطور الروح الرأسمالية الحديثة؛ إذ إن تلك الأخلاق قد **أنتجت قيماً ومعايير شجعت العمل الحر والتنسُّك والادخار وإتقان العمل الذي يعد بمثابة التقرب من الله**، خلقت مناخاً ذهنياً خاصاً، ساعد بدوره على تطور المشروع الاقتصادي الحر، وبالتالي على نمو وتطور الرأسمالية في الغرب (**الحيدري، 1990: 159**).

وهكذا نجد أن البروتستانتية حسب ڤيبر في **شقها الكالفيني** بخاصة هي **مجموعة من الحوافز التي تدفع الإنسان إلى العمل والإنتاج، وتحصيل الثروة والإسهام في زيادة ازدهار الحياة الاقتصادية**، بل إنها تمنح المهنة قيمة أخلاقية كبرى وتُقدّس العمل إلى درجة أنها ترى في تأدية العمل بأمانة وحيوية وحماسة واجباً مقدساً (**زكريا، 2011:**

140)، «**فالعمل الدؤوب في مهنة ما أمر مطلوب بشكل واضح باعتباره الوسيلة الفضلى؛ وذلك بغرض بلوغ هذه الثقة بالنفس**» (**ڤيبر، ب.ت. 75**)، ومبدأ العادة ليس معناه حب المال، أو حب الكسب، أو حب الحياة الثرية، بل هو صيغة مبدئية أخلاقية لطرائق العيش المُثلى. وهذا المبدأ الكالفيني لا يرى في العمل وسيلة للكسب من أجل العيش، بل إن العمل ذاته هو فلسفة الحياة ومعناها، أو أنه هو الذي يسوغ نفسه (**السيد، 1997: 341**).

ويرى ڤيبر أثناء دراسته للبروتستانتية أن الكالفينية بصورة خاصة تشدد على **الطابع الفردي للخلاص**، وانتهى من ذلك كله إلى أن الروح التي تميل إلى الحصول على الكسب المادي بطريقة رشيدة منظمة هي روح الرأسمالية على اعتبار أن ذلك هو ثمرة غير مقصودة من ثمار البروتستانتية (الكالفينية) (**زكريا، 2011: 140**)، بل إن التعاليم الدينية الكالفينية تحض المرء على أن يتحكم في نزاوته وشهواته، وأن يضبط ميوله وغرائزه، وتحثه على الزهد والتقشف في هذه الحياة الدينا. لكن ليس الزهد والتقشف السلبيين، بمعنى اعتزال العالم، والفرار من الحياة، والاعتكاف في صومعة والتفرغ لعبادة الله كما يفعل التنابل الكسالى الخاملون، وإنما التنسك في هذا العالم والخوض في معترك الحياة، والعمل الدؤوب ومثابرة، والنجاح في الحياة المعنية، وتحصيل الثروة ومتراكمة المال، وكل ذلك استجابة لنداء رباني داخلي يشعر المرء تجاهه بنوع من **الواجب الأخلاقي** (**زكريا، 2011: 151**).

إن فكرة ڤيبر عن **العقلانية المتضمنة في الأخلاق البروتستانتية (عملياتها، وأسباب ظهورها، ونتائجها)** ليست مجرد ظاهرة تاريخية. **ولكنها تعد شكلاً من أشكال المعرفة يظهر في إطار ثقافة المجتمع ككل**، ثم انتقل بها إلى مستوى المعنى في إطار علاقتها بالمعتقدات الدينية. واعتبر أن تلك **العقلانية نمط ثقافي** مميز يؤثر في العلاقات والقوى المجتمعية الأخرى. ولذلك، كانت تحليلاته للعلاقات الاجتماعية تهتم بربطها في سلسلة من الروابط العقلانية من كافة الجوانب. حتى أصبح هذا **النمط الثقافي للعقلانية** عنصراً موجهاً مباشراً في تقدم المجتمعات الغربية (**أبو شنب، 2008: 269**)؛ أي إن الحساب العقلاني، في تصور ڤيبر، هو العنصر الأساسي في المشروع الرأسمالي الحديث، وعقلنة الحياة الاجتماعية بصورة عامة هي أهم صفة مميزة للثقافة الغربية الحديثة (**جيدنز، ب.ت: 543**).

بذلك أقام ڤيبر **نماذجه المثالية** كأطر تصورية مجردة، واستخدمها كأدوات منهجية لتحقيق الفهم السوسيولوجي في دراسة وفهم وتأويل أنماط **الفعل والعلاقات والظواهر السسوسيو- ثقافية** في إطار ثقافات معينة. وأن هذه الأطر التصورية لم تبدأ من فراغ، ولكنها بدأت من **الواقع** بهدف استخدامها لدراسة وفهم الواقع الاجتماعي والثقافي (**أبو شنب، 2008: 269**)؛ بمعنى آخر اعتمد ڤيبر في منهجه **التفهمي والتأويلي** على أدوات منهجية تصورية مجردة. واستطاع من خلالها **أن يثبت العلاقة الارتباطية القائمة بين الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**.

بناءً على ما سبق، إن المنهج الذي اعتمده ڤيبر لا يستمد النظرية الاجتماعية معتمداً فقط على العلاقات الاجتماعية بين الوسائل والغايات، وإنما يربطها باستمرار بنسق اجتماعي معين، وبالظروف التي يتم في ضوئها

تحقيق الغايات، ومن ثم، يؤكد ڤيبر باستمرار أن كل المفاهيم التي يقدمها لا تكفي في حد ذاتها، وإنما لا بد أن يستخدمها علماء الاجتماع في تجسيد النماذج المثالية لتفسير مشكلات اجتماعية ملموسة، بل الأكثر من ذلك أن هذه النماذج بدورها ليست غاية مطلقة ولكنها وسيلة للتفسير والتحليل المنطقي (**فياض، 12.11.2023**).

وبذلك يكون ڤيبر اعتمد منهجاً مغايراً لما كان سائداً في الدراسات الاجتماعية. وسمة هذا المنهج الأساسية هي اعتماد النسقية المركبة واكتشاف القوانين التي تساعد في دراسة العلاقات التي تربط بين مجالات الظاهرة المختلفة بشكل يحفظ للإنسانية طابعها التركيبي، وهو بذلك تجاوز النظر التجزيئي الذي لا يمكن أن يفسر الظاهرة الإنسانية. فالأساس إذن، في بناء النموذج المثالي حسب ما يرى ڤيبر هو التشديد على فكرة ما، أو عدة أفكار، أو على وجهة نظر ما، أو عدة وجهات نظر واستخراج طائفة من الحوادث المعزولة، الغامضة والخفية، التي يكثر العثور عليها أحياناً أو يتضاءل وربطها بوجهات النظر المختارة من أجل أن ننشئ منها لوحة متجانسة (**فياض، 12.11.2023**).

- **النتائج:** خلص البحث إلى مجموعة من النتائج، وهي كالآتي:

1. توصل البحث إلى أن **السوسيولوجيا عند ڤيبر** هي العلم الذي يتخصص بفهم الفعل الاجتماعي وتأويله من أجل الوصول إلى تفسير علمي لمجراه وآثاره. وبالتالي، فهو يرفض حتمية ماركس ودوركايم اللذين يضعان الإنسان ضمن نسيج من الضغوط الاجتماعي غير الواعية.

2. بيّنَ البحث أن **المجتمع عند ڤيبر** هو نتاج أفعال الأفراد الذي يتصرفون تبعاً للقيم وللدوافع وللحسابات العقلانية. ويؤمن ڤيبر بأن ما ندعوه سوسيولوجيا هو علم مهمته الفهم عن طريق تأويل النشاط الاجتماعي. ويعني هذا أن المجتمع يتكون من مجموعة من الأشخاص الذين يقومون بسلوكيات أو أفعال أو أعمال، وهذه الأفعال هي **جوهر أطروحة علم الاجتماع**.

3. توصل الباحث من خلال **قراءة وتحليل منهجية ڤيبر التفهيمية** إلى أنه حرص أن يحدد **مقولة الفهم والتأويل** كأساس منهجي للكشف عن **معاني الأفعال والظواهر الاجتماعية في المجتمع ككل**.

4. كما وجد الباحث أن ڤيبر حدد **مقولة الفعل الاجتماعي** كأساس لمنهجيته واعتبرها جوهر مهمة علم الاجتماع. لذا يجب علينا أن نفهم أن الفعل الاجتماعي هو عبارة سلوك بشري يقوم كل من الفاعل أو الفاعلين بإضفاء عليه معناً ذاتياً. وأن هذا الفعل متجدد من خلال فهم وتأويل الأفراد الآخرين له.

5. خلص البحث أيضاً إلى أن دراسة معاني الفعل الاجتماعي حسب ڤيبر تتطلب وجود **أداة منهجية أطلق عليها النموذج المثالي**، وهو عبارة بناء عقلي يتشكل من خلال ظهور أو وضوح سمة أو أكثر أو وجهات نظر يمكن ملاحظتها في الواقع ومعنى ذلك أن ركائز المقاربة المنهجية الڤيبرية تتكون من النموذج المثالي، ونسق المعاني من خلال فهم الفعل الاجتماعي وتأويله. ومعنى ذلك، أن ڤيبر أقام **نماذجه المثالية** كأطر

تصورية مجردة، واستخدمها كأدوات منهجية لتحقيق الفهم السوسيولوجي في دراسة أنماط **الفعل والعلاقات الاجتماعية والظواهر السسوسيو- ثقافية** في إطار ثقافة معينة وهذا ما فعله عندما ربط ما بين روح الرأسمالية والأخلاق البروتستانتية على اعتبار أن الأخيرة تمثل النموذج المثالي لنمو وتطور الرأسمالية الغربية.

6. أثبت البحث أن ڤيبر سعى بكل إمكاناته المعرفية والمنهجية أن يبرهن على أن الرأسمالية تعد نظاماً اجتماعياً واقتصادياً في العصر الحديث، وهي في مجملها نتاجاً طبيعياً للدين البروتستانتي وما يقوم عليه من مبادئ وقيم ومعتقدات وتصورات دينية ومجتمعية خاصة الكالفينية منها التي توجه الحياة اليومية والأنشطة الاقتصادية المنتجة مثل: الادخار، والاستثمار، والعمل، والإنتاج، واحترام المهن وقدسيتها.

7. استنتج الباحث من خلال ما تقدم تحيّز ڤيبر المطلق في جانب مهم من آرائه وأفكاره عندما ركّز على عوامل ظهور وتطور الرأسمالية الغربية خاصةً في مناطق معينة من المجتمعات الأوروبية، حيث بنى مجمل تصوراته بناءً على مذاهب مسيحية معينة دون غيرها، بوصفها النموذج المثالي لتطور الرأسمالية الغربية، إلا أن ظهور الرأسمالية في أواخر القرن العشرين في مناطق أخرى من العالم وبالأخص جنوب شرق آسيا (اليابان - على سبيل المثال - التي تدين بديانة أرضية تدعى الشنتو) أفقدت تصورات ڤيبر حول نشأة الرأسمالية الغربية وعلاقتها بالأخلاق البروتستانتية الكثير من مصداقيتها العلمية والواقعية.

- التوصيات: بالاستناد إلى النتائج التي توصل إليها، البحث يوصي ويقترح الآتي:

1. دعوة الباحثين والمهتمين في تخصص مناهج البحث الاجتماعي وبالأخص الكيفية منها إلى إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث التحليلية والنقدية حول منهجية ڤيبر التفهيمية **لمعرفة الملابسات الفكرية وأحداث السياق الاجتماعي وتفاعلاته التي ساهمت في إنضاج وإرساء مقاربته المنهجية.**

2. حث أعضاء هيئة التدريس في أقسام علم الاجتماع على ضرورة إقامة المحاضرات والندوات الأكاديمية والتطبيقية للطلبة بهدف **توضيح قدرة ومميزات منهجية ڤيبر التفهيمية والتأويلية** في دراسة الظواهر الاجتماعية التي تندرج تحت أسلوب البحث الكيفي في علم الاجتماع.

3. تشجيع الطلبة في علم الاجتماع على توظيف منهجية ڤيبر التفهيمية من خلال **استخلاص وبناء النموذج المثالي** للظاهرة المدروسة عند إجراء أبحاثهم ودراساتهم السوسيولوجية خاصةً في مرحلتي الليسانس والدراسات العليا.

4. النظر إلى منهجية ڤيبر التفهيمية باعتبارها من **أقرب المقاربات المنهجية** التي تصلح لدراسة مشكلاتنا وظواهرنا الاجتماعية؛ لأنها تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الثقافية **كمدخل منهجي** عند القيام بإجراء البحوث السوسيولوجية بالاعتماد على نماذج مثالية يمكن استخدامها لفهم وتحليل الواقع الاجتماعي.

- خاتمة نقدية:

يمثل **النموذج المثالي** مفهوماً مركزياً في الفكر **الڤيبري** وقد يأتي وصف المثالي في سياق هذه المنهجية **مضللاً**، فليس القصد بالمثالي هنا المتكامل الخالي من العيوب، بقدر ما هو تعبير عن وضع أو حالة يتم من خلالها تمييز نظام اجتماعي، قد يكون المثال هنا بمثابة الوسيلة المنهجية التي تضطلع بمهمة تمييز سمات هذا النظام، وتوفير **وسيلة تطبيقية للباحثين من أجل فرز المكونات وحصر مجال البحث والتدقيق، مع المرونة التي يتم إسباغها على البحث**، مع القابلية للتعديل. إنها المحاولة المعرفية المتطلعة نحو فهم الواقع من خلال التوجيه نحو كل ما يتعلق بالأفراد من أفعال وعلاقات.

وفي النهاية، نستنتج أن دراسة معاني الفعل الاجتماعي حسب ڤيبر تتطلب وجود **أداة منهجية أطلق عليها النموذج المثالي،** وهو عبارة بناء عقلي يتشكل من خلال ظهور أو وضوح سمة أو أكثر أو وجهات نظر يمكن ملاحظتها في الواقع؛ ومعنى ذلك أن ركائز المقاربة المنهجية الڤيبرية تتكون من النموذج المثالي، ونسق المعاني من خلال فهم الفعل الاجتماعي وتأويله؛ ومعنى ذلك أن ڤيبر أقام **نماذجه المثالية** كأطر تصورية مجردة، واستخدمها كأدوات منهجية لتحقيق الفهم السوسيولوجي في دراسة أنماط **الفعل والعلاقات الاجتماعية والظواهر السسوسيو- ثقافية** في إطار ثقافة معينة وهذا ما فعله عندما ربط ما بين روح الرأسمالية والأخلاق البروتستانتية على اعتبار أن الأخيرة تمثل النموذج المثالي لنمو وتطور الرأسمالية الغربية.

فقد سعى ڤيبر بكل إمكاناته المعرفية والمنهجية أن يبرهن على أن الرأسمالية تعد نظاماً اجتماعياً واقتصادياً في العصر الحديث، وهي في مجملها نتاجاً طبيعياً للدين البروتستانتي وما يقوم عليه من مبادئ وقيم ومعتقدات وتصورات دينية ومجتمعية خاصة الكالفينية منها التي توجه الحياة اليومية والأنشطة الاقتصادية المنتجة مثل: الادخار، والاستثمار، والعمل، والإنتاج، واحترام المهن وقدسيتها.

إلا أن ڤيبر وبرؤية موضوعية كان متحيزاً في جانب مهم من آرائه وأفكاره عندما ركّز على عوامل ظهور وتطور الرأسمالية الغربية خاصةً في مناطق معينة من المجتمعات الأوروبية، حيث بنى مجمل تصوراته بناءً على مذاهب مسيحية معينة دون غيرها بوصفها النموذج المثالي لتطور الرأسمالية الغربية، إلا أن ظهور الرأسمالية في أواخر القرن العشرين في مناطق أخرى من العالم وبالأخص جنوب شرق آسيا (اليابان - على سبيل المثال - التي تدين بديانة أرضية تدعى الشنتو) أفقدت تصورات ڤيبر حول نشأة الرأسمالية الغربية وعلاقتها بالأخلاق البروتستانتية الكثير من مصداقيتها العلمية والواقعية.

المراجع الأولية للدراسة:

- أبو شنب، جمال. (2008). **السلوك الاجتماعي – الاتجاه السلوكي في نظرية علم الاجتماع.** ط1، دار المعرفة الجامعة. الإسكندرية.
- الحيدري، إبراهيم. (1990). **جدلية الحوار حول أطروحة ماكس ڤيبر «الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية».** مجلة العلوم الاجتماعية. المجلد: 18. العدد:1. الكويت.
- الربيعي، إسماعيل نوري. (2015). **أن تأكل جيداً؟! ڤيبر والعقلانية الألمانية.** مجلة دراسات وأبحاث. المجلد: 07. العدد: 18. الجزائر.
- السيد، رضوان. (1997). **سياسات الإسلام المعاصر مراجعات ومتابعات.** ط1. دار الكتاب العربي. بيروت.
- بارسونز، تالكوت. (1949). **بنية الفعل الاجتماعي – دراسة في النظرية الاجتماعية مع إشارة خاصة إلى مجموعة من الكُتّاب الأوروبيين الجدد.** ط2. المطبعة الحرة. الولايات المتحدة الأمريكية.
- بيومي، محمد أحمد. (1985). **علم الاجتماع الديني.** ط1. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.
- تيماشيف، نيقولا. (1978). **نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها.** ط5. الكتاب: الثاني. (ترجمة: محمود عودة وآخرون). (مراجعة: محمد عاطف غيث). سلسلة علم الاجتماع المعاصر. دار المعارف. القاهرة.
- جيدنز، أنتوني. (2005). **علم الاجتماع (مع مدخلات عربية).** ط1. (ترجمة وتقديم: فايز الصياغ). المنظمة العربية للترجمة. توزيع مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
- جيدنز، أنتوني. (ب.ت). **الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة (تحليل كتابات ماركس ودوركهايم وماكس ڤيبر).** ب.ط. (ترجمة: أديب يوسف شيش). الهيئة العامة السورية للكتاب. دمشق.
- زكريا، براق. (2011). **ماكس ڤيبر: الدين وأخلاق العمل والرأسمالية.** مجلة التفاهم. العدد: 034. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عُمان. عُمان.
- عبد النور، محمد. (2017). **منهج الفهم عند ماكس فيبر.** صفحة الدكتور محمد عبد النور. جامعة غرداية. https://2u.pw/ZusfdYWq
- فياض، حسام الدين. (2021). **المدخل إلى علم الاجتماع – من مرحلة تأصيل المفاهيم إلى مرحلة التأسيس.** ط1. سلسلة نحو علم اجتماع تنويري. الكتاب: الأول. الجزء: الأول. مكتبة الأسرة العربية. إسطنبول.
- كلاخي، يوسف. (2012). **قراءة في كتاب أخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية لماكس ڤيبر.** الحوار المتمدن. https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=289914
- فياض، حسام الدين. (12.11.2023). **أسس المنهج المعرفي عند عبد الوهاب المسيري (قراءة في الفكر العربي المعاصر).** موقع الحوار المتمدن. العدد: 7793. 810946=aid?asp.art.show/debat/org.ahewar.www//:https
- فياض، حسام الدين. (2024). **منهجية الفهم والتأويل عند ماكس ڤيبر" إنك تدرس لكي تفهم" (دراسة تحليلية – نقدية).** مجلة ريحان للنشر العلمي. المجلد: 7. العدد: 48. سوريا. ص (292-325).

- السوتاري، برتي. (2015). **النظرية الاجتماعية والواقع الإنساني**. ط1. العدد: 2060. (ترجمة: علي فرغلي). المركز القومي للترجمة. القاهرة.

- عنصر، العياشي. (1990). **علم الظواهر الاجتماعية**. ط1. دار طلاس. دمشق.

- تيماشيف، نيقولا. (1978). **نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها**. ط5. الكتاب: الثاني. (ترجمة: محمود عودة وآخرون). (مراجعة: محمد عاطف غيث). سلسلة علم الاجتماع المعاصر. دار المعارف. القاهرة.

- خليل، خليل أحمد. (1984). **المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع**. ط1. دار الحداثة. بيروت.

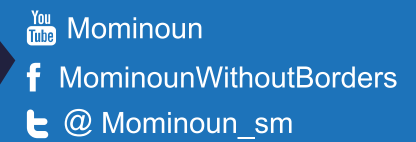
- عدنني، إكرام. (2013). **سوسيولوجيا الدين والسياسة**. ط1. منتدى المعارف. بيروت.

- ڤيبر، ماكس. (2015). **الاقتصاد والمجتمع (الاقتصاد والأنظمة الاجتماعية والقوى المخلفات السيادة)**. ط1. المنظمة العربية للترجمة. بيروت.

- ڤيبر، ماكس. (2015). **مقالات في سوسيولوجيا الدين (الثقافة البروتستانتية)**. ط1. (ترجمة: منير الفندري). (مراجعة: فضل الله العميري). المنظمة العربية للترجمة. بيروت.

- ڤيبر، ماكس. (ب. ت) **الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**. ب. ط. (ترجمة: محمد علي مقلد). (مراجعة: جورج أبي صالح). مركز الإنماء العربي. بيروت.

- مجموعة المؤلفين. (2011). **سوسيولوجيا المعرفة – جدلية العلاقة بين المجتمع والمعرفة الدينية**. ط1. مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت.



info@mominoun.com
www.mominoun.com

